ملخص المحاضرة الاولى :- ما هو التأريخ؟

ولقد شملت اهتمامات الباحثين مجالات شتى، منها تحديد معنى التأريخ وتطور موضوعه، والاسلوب المقتضي لتحري الحقائق وتدوينها، والاسس العامة في التفسير والتعليل، وتعرف دراسة هذه الموضوعات جميعا بأصول التأريخ ((Historiography التي تشمل جميع السبل المؤدية الى معرفة التأريخ واهميته وفلسفته وتفسيره.

تستعمل كلمة (تاريخ) في بعض اللغات الحية مثل (History) الإنكليزية و(Histoire) الفرنسية و (Geschichte) الألمانية و (Historia) الإسبانية، للتعبير عن الماضي البشري تارة ، وعن الجهد المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية اخباره، او العلم المعني بهذا الموضوع تارة اخرى، وقد حاول بعض الباحثين الغربيين محاولات شتى للتمييز بين هذين المعنيين، فأطلق بعض الفرنسين مثلا (Histoire)بـ(H كبرى) على الماضي، ومثلا ((histoire بـ(h صغرى) على العلم المعنى به، وحاول آخرون الرجوع الى اللغتين اللاتينية واليونانية بحثا عن جذر الكلمة للتعرف على معناها الحقيقي، وقد اشار جوزف هورس الى ان كلمة (Histoire) يونانية يدل جذرها على (الرؤية)، وانها كانت تعني حسبما استخدمها الفيلسوف الاغريقي أرسطوط اليس "سردا منظما لمجموعة من الظواهر الطبيعية سواء جاءت مرتبة ترتيبا" زمنيا"، ام غير مرتبة في ذلك السرد ..."، ثم تطورت كلمة التأريخ الإنكليزية (History) لتعني في الغالب سرد الظواهر الطبيعية، لاسيما مسائل الإنسانية المرتبة ترتيبا زمنيا، واصبحت في مفهومها العام الشائع تعني " ماضي الإنسانية ".

أما في اللغة العربية فتدل لفظة (التأريخ) على معان متعددة، وقد اختلف العلماء في أصلها ولكن الراجح انها من الاعلام بالوقت وتحديد الزمن، وقد اشارت المعاجم العربية الى هذا المعنى فذكرت بان " التأريخ " هو تعريف الوقت و" التوريخ " مثله يقال أرخ الكتاب ليوم كذا ووقته وقد حاول بعض القدماء ان يرجع اشتقاق هذه الكلمة الى اللغة الفارسية، فزعم انها مأخوذة من " ماه رزو" والتي يراد بها تعيين بدء الشهر فعربوها وقالوا "مؤرخ". وجعلوا المصدر منها التأريخ، وهذا اشتقاق بعيد لا يظهر فيه أي تقارب بين اللفظين العربي والفارسي.

وقد اشار بعضهم ايضا الى احتمال صلة هذه الكلمات باللغات العربية القديمة (السامية) حيث تلوح القرابة بينها وبين كلمة "ياريح " التي معناها القمر و"يرح" التي معناها الشهر في العبرية، ولكن الارجح ان جذرها "ورخ" هو جذر عربي قديم ايضاً، لكنه مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية وليس من العبرية، ويذكر شاكر مصطفى اعتماداً على مرغليوث ان احدى صيغتي الكلمة "ورخ" موجودة في لغات عربية قديمة هي الفينيقية، والأكدية، والعبرية، والسريانية، والعربية الجنوبية التي تعني" الشهر" او "القمر".

والملاحظ ان العرب القدماء كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس، وانهم كانوا يبنون تأريخهم على الليالي دون الايام كما هو متبع في التقويم الهجري، لهذا فان معنى كلمة "تأريخ" كان في مبدأ امرها هو "تحديد الشهر" ثم أتسع فصار التوقيت العام، أي تحديد زمن حدث من الحوادث ثم تطور مفهوم هذه الكلمة حتى شمل رواية الحدث نفسه من جهة، وتحديده من جهة اخرى، ولكن هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحي المعروف لم يظهر في القرآن الكريم ولا في الاحاديث النبوية الشريفة ، علماً انه كانت تستخدم بمعنى التقويم في النقوش العربية الجنوبية ثم استعمله الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين أدخل التقويم الهجري فقد ورد هذا الاصطلاح في أحدى اوراق البردي التي يرجع تأريخها الى سنة (22هـ/642م) مما يدل على ان الكلمة كانت معروفة في ذلك الحين.

يمكن القول اذا ان هذه الكلمة قد مرت بعدة اطوار، فبدأت مسيرتها أولا بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الاسلام الاول ، وبعد ان استعملت لفترة من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى اخر هو تسجيل الاحداث على اساس الزمن، وكان يستخدم بدلا" منها في هذه العملية التاريخية كلمة الخبر واخبار واخباري، ثم بدأت كلمة "تاريخ" تحل بالتدريج محل كلمة "خبر" وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي وعلى حفظ الاخبار بشكل مسلسل، وكان ذلك اواسط القرن الثاني للهجرة ، ومع بداية القرن الثالث الهجري صارت كلمة "تاريخ" تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره وبأخبار الرجال والكتب التي تبحث في ذلك،وقد حلت هذه الكلمة محل كلمتي " الخبر" و"الاخباري" التي انتهت استعمالاتهما العلمية وبطل استخدامهما في القرن الرابع الهجري.